بركان "موموتومبو"[1]

كان القطار يجري على قضبانه،
في أيام ربيعي الذهبية،
وفي نيكاراجوا مسقط رأسي،
فجأة، بزغَ بين قمم الأشجار،
قمع عملاق، كان "أصلعا وعاريا" رأيته،
ومفعماً بعظمة قديمة.

كنتُ قد قرأت أنا عن "هوجو[2] وأسطورته"
التي تعلمتها،
رأيتُ ذلك البناء الشامخ الأسود في مواجهة الشمس،
كما لو كان خيمة عظيمة،

---

[1]- موموتومبو: اسم بركان يقع جنوب نيكارجوا بالمناطق المطلة على المحيط الهادئ، يبلغ ارتفاعه 1258 مترا، وثار وأطلق حممه عدة مرات، كان آخرها عام 1905، ويثير اهتمام دارسي البراكين بسبب أشكال تكوينه الجمالية.

[2]- الكاتب الفرنسي فيكتور هوجو

عظيم مهاب، كأب شيخ
يزدوج في انعكاسات مرايا متقابلة
من ماء اللؤلؤ والزمرد والأخضر.
ماء متعدد الأخضر ورمادي متغير،
يشعُ ولا يُغادر مكمنه ولا ماسته
إلى اللهب الاستوائي الشاسع.
يرتفع "موموتومبو" متناغما وعظيما،
كنت وقتها في الخامسة عشرة:
نجمة في الكف!
كان ذلك في نيكاراجوا مسقط رأسي.
كنت متشبعاً وقتها من "اوفييدو"[3] و"جومارا"[4].
وروحي اليانعة تحلم بتاريخ غريب،
أسطورة، وحكاية، ورومانس، وحب عن الغزو،
وانتصارات لفرسان شجعان،
ورجال "الانكا" في مواجهة الكهنة، والمساجين والعبيد،
وريش ملون وذهب، قوة ومجد.

---

[3]- جونثالو فرناندیث دي أوفييدو (مدريد 1478- سانتو دومينجو 1557) مؤرخ متخصص في تاريخ البلاد الهندية بأمريكا اللاتينية، ومن أهم أعماله، التاريخ العام والطبيعي للبلاد الهندية، يقدم فيه رؤيته لتلك البلاد منذ عهد الاكتشاف عبر ملاحظاته حول الطبيعة في تلك البلاد وتحولاتها.

[4]- فرانثيسكو لوبث دي جومارا (أشبيلية 1510- 1566) كاهن ومؤرخ أسباني، درس بجامعة "الاكلا دي ايناريس" وكان في خدمة القائد "هيرنان كورتيس" احد قادة موجات الاستعمار الأسباني للعالم الجديد.

وصلتُ، ورأيتُ في سحاب ذلك المنحدر المعمّر قروناً،
وذلك البركان الآسر،
الذي كان رؤية كاشفة في عيني،
سيد القمم، وإمبراطور الماء،
وتحت أقدامه بحيرة "ماناجوا"[5] الإلهية،
بجزرها المنطلقة بالغناء والضوء.

"موموتومبو"، هتفتُ،
آه أيها الرجل الأسطوري!
كان "هوجو الأكبر" محقاً عندما سمع
إيقاع الأبدية في سيرتك،
عندما تركتَ ظلالك على السد،
عندما سمعتَ لغة الإقطاعي البيضاء
في خطابه عن الحرية.

[5]– ماناجوا: عاصمة نيكاراجوا، مسقط رأس الشاعر روبين داريو.

آه، أيها الأب المصنوع من النار والحجارة،
طلبتُ منك في ذلك اليوم،
أن تمنحني سر لهيبك،
جسدك المتناسق،
والبدء الذي يمكنك أن تمنحني،
بسببك فكرتُ في عظمة "أوساس" و"بيليونيس"[6]،
وأن في قمتك تنيناً،
وأسفلك يرقدُ في الأرض والبحر.

آه، "موموتومبو" الأجش كالصدى،
أُحبك لأن روحك تأتيني من جديد،
مستجيبةً لانجذابٍ داخلي،
روائح من طفولتي،
ونسائم من صغري.

---

[6]- تقول الأسطورة الإغريقية أن "زيوس" في دفاعه عن "الأولمب" خاض معارك رهيبة ضد عمالقة على قمم محيطة به ومنها "اوساس" و"وبيليونيس"

العادي من الأمسيات والشروق،
لم أرى أجمل منها أبداً ترتفعُ على قمتك،
كلك عظمة على القمة الصدى،
ترتفع على انتصارات الذهب،
والزمرد والياقوت.

عندما انهارت حدائق "بابل" في غروبها
كنتَ أنتَ رمز الثبات.

في مراياك شاهدتُ الحربَ الأبدية،
في صخورك وحداتٌ لا تنتهي أبداً،
شعرتُ في زلازلك نزورَ الأرض
وخلودَ "بان"[7].

[7]- من الآلهة اليونانية القديمة

بروح بركانية في الحياة الصعبة،
فإن "اكيلون"[8] و"أوراكان"[9] عانيا قلبي،
وحركا في عقلي الخوذةَ الملتهبة،
إنهما "اوراكان" و"اكيلون".

صوتُكَ أصاب يوماً "كريستوفر كولومبوس"[10] بالرعب:
الذي غنى "هوجو" سيرته الرائعة،
"مومو‌تومبو"، جبال موسومة بنار الله.

يسقط شعراء في السر نفسه، وتنهار جبالٌ:
وتتحطم دائرة الزجاج،
عندما تتصادم الكؤوس السبعة،
وينطلق بوق الآخرة!

(النشيد المرتحل، 1907)

---

[8]- انه أخيل ابن اورورا وإله الرياح الباردة التي تنبع من الجهات الأربع للكرة الأرضية

[9]- عاصفة

[10]- كريستوفر كولومبس: مكتشف العالم الجديد عام 1492، والمعروف أنه مات دون أن يعرف أنه وصل إلى أرض لم تكن معروفة من قبل، ولكنه كان حسب الروايات يعتقد أنه وصل إلى جزر الهند الغربية عبر الإبحار غربا.